المطلب الثاني: إنتاج وإعادة إنتاج الهيمنة الفكرية الأمريكية (تابع)

من الواضح أن معايير اختيار سوق الكتب الأمريكية تعلق أهمية قصوى على التوافق الوقائي للبحوث العلمية للمعايير الأمريكية. ويبدو من البديهي القول أن هذا التأكيد على اتباع النهج الأمريكي في البحث يعزز الهيمنة الفكرية الأمريكية على الحقل. هناك شيء مثل حقل جاذبية حول مركز الحقل الذي يجعل الباحثون في الأطراف يعتبرون أنها "مسألة " اللحاق بالركب الأمريكي[1] أو لا شيء"، الأمر الذي أتاح استمرار ريادة الحقل من طرف مجتمع البحث الأمريكي، أو ما يسمى بـ العلاقات الدولية الأمريكية. ومع ذلك، من الجدير الإشارة إلى أنه على أساس التطور المؤسسي والبنية التحتية للبحث العلمي، فإن العلاقات الدولية لم تعد علم أمريكي[2]. غير أن هيمنة التنظير الأمريكي في الحقل لم يتراجع ولا يزال طاغيا[3].

ترتبط الهيمنة الفكرية للتيار الرئيسي الأمريكي بكيفية توجيه البحث العلمي في الأطراف وفقًا لصورة التيار المهيمن في المركز. بمعنى، يصبح المنطق النظري والمنهجي في المركز "معيارا" للإنتاج النظري والمنهجي في حقل العلاقات الدولية بكامله. لذلك ، يتطلب التحليل المناسب للهيمنة الفكرية الأمريكية على الحقل صقلًا جديدًا يتجاوز ما تمت مناقشته حتى الآن، إذ أن الطريقة التي يتم من خلالها إنتاج وإعادة إنتاج الهيمنة الفكرية الأمريكية، هي أكثر تعقيدا مما تمت مناقشته في المطلبين السابقين. هذا لا ينفي أن أنماط الإستشهاد غير المتماثلة، واستخدام اللغة الإنجليزية كلغة مشتركة، وعملية الاختيار التحريري، والحجم الكبير لمجتمع الباحثين الأمريكي، تلعب دورًا هامًا كعوامل مثبتة للهيمنة الأمريكية على الحقل.

[1] تشبيها حقل العلاقات الدولية بالقطار، يرى الباحثون في الأطراف أنه قطار أمريكي، مما يجعلهم في محاولة دائمة للوصول إلى عرباته والتشبث بها، وفي حال لم يتمكنوا فإن ذلك قد يعادل الرسوب أو عدم النجاح في اللحاق بالركب.

[2] بالنظر إلى التجربة الأوروبية على سبيل المثال، أو حتى الآسيوية.

[3] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.8.

ومع ذلك، فإنه من الضروري للغاية تجاوز تحليل هذه العوامل السطحية نسبيا، بغرض استيعاب جوهر الهيمنة الفكرية[4].

المطلب الثالث:

البناء الإجتماعي للهيمنة الفكرية الأمريكية

يجب النظر إلى الهيمنة الأمريكية على الحقل باعتبارها حقيقة اجتماعية وليس كحقيقة قاهرة. ويرجع ذلك إلى أن الفهم الذاتي المهيمن للحقل كعلم أمريكي هو عبارة عن بناء اجتماعي أكثر منه حقيقة موضوعية[5]. للأسف، فإن علماء العلاقات الدولية لا يعلنون بطريقة واضحة فهمهم الخاص للاختلافات الفكرية التي يتميز بها الحقل. وبسبب هذا الصمت ، الذي هو في حد ذاته نتيجة طبيعية للهيمنة الفكرية، يصعب للغاية تكوين استيعاب-ذاتي للحقل[6] من الناحية التحليلية[7].

في أبسط أشكاله وأكثرها شيوعًا، عادة ما يتم سرد تاريخ العلاقات الدولية على أنها تناوب ما بين فترات مع هيمنة مقاربة ما، وتسمى بـ (عصور eras)، وفترات تتواجه من خلالها اثنين أو أكثر من المقاربات النظرية، وتسمى بـ (النقاشات الكبرى great debates). إن هذا السرد المعياري لتاريخ الحقل سيبين أولاً،

[4] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.10.

[5] Ibid. p.10.

[6] لذلك نجد أن الباحثين غير الأمريكيين (في الأطراف) في حقل العلاقات الدولية يظلون أوفياء للنهج النظري الأمريكي في أعمالهم البحثية، وإن حاولوا الإبتعاد عن المنظور الأمريكي الضيق، وتحليل الإشكاليات المدروسة وفق منظور جديد، فإن تحليلاتهم تظل موافقة لتحليلات المركز/التيار الرئيسي الأمريكي.

[7] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.10.

أن هذا الأخير يكشف عن الفهم الذاتي المهيمن للحقل كعلم أمريكي، وثانياً، أن هذا السرد المعياري هو عامل استقرار هام آخر للهيمنة الأمريكية على الحقل[8].

جدول رقم 01: "العصور" و"النقاشات الكبرى" في العلاقات الدولية

العشرينيات–الثلاثينيات	عصر	الليبرالية الدولية	liberal internationalism
الثلاثينيات–الأربعينيات	نقاش كبير	الواقعية ↔ الليبرالية	realism ↔ liberalism
الأربعينيات–الخمسينيات	عصر	الواقعية المنتصرة realism	victorious
الخمسينيات–الستينيات	نقاش كبير	التيار التقليدي ↔ الوضعية	traditionalism ↔ positivism
الستينيات–السبعينيات	عصر	الوضعية	positivism
منتصف السبعينيات	نقاش كبير	الواقعية↔الليبرالية↔الماركسية realism ↔ liberalism ↔ Marxism	
الثمانينيات	عصر	التعددية النموذجية	paradigmatic pluralism
التسعينيات	نقاش كبير	العقلانية↔البنائية rationalism ↔ constructivism	

Source : Jörg Friedrichs, European Approaches to International Relations Theory: A house with many mansions, (London and New York: Routledge, 2004), p.11.

[8] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.11.